السَّبْكُ النَّحْوِي وَأَثَرُهُ فِيْ بِنَاْءِ النَّص
الْخطْبَةُ الْفَدَكِيَّةُ اختياراً

The Grammatical Cohesion and its Role in Text Construction
Fadak Sermon as a Sample

م.م. أحمد موفق مهدي

Assistant Instructor: Ahmed Muwafaq Mehdi

كلية التربية للبنات – جامعة البصرة

College of Education for Girls - University of Basra

ah1990mg@gmail.com

الملخص

هذا بحثٌ يتناولُ السَّبْكُ النَّحْوِي وَأَثَرُهُ فِيْ بِنَاْءِ الْنَّصِ الْخطْبَةُ الْفَـدَكِيْةُ مِثَالًا، وقد اقتضتْ خطةُ البحثِ أَن يكون في ثلاثةِ مباحث هي: السَّبْكُ فِي الْمُعْجَمِ وَالاصطِلَاْحِ وَالْوَظِيْفَةِ، والحَذْفُ، المَعَاْنِيّ التِيّ يُحَقِقهَا الرَّبْطُ، وقد بيَّنَ البحث قدرة السَّيدة الزَّهراء عليها السلام على الإبداعِ الذي تحقق في السَّبكِ النَّحْوِي للخطبةِ الشَّريفةِ، فجاءت مقاطع الخطبة متماسكة ومتلاحمة بواسطة ركونها إلى أدوات تركيبيَّة استطاعت عليها السلام في ضوئها أن تجعلَ النَّصَ مرتبطًا في جُمَلِهُ ومقاطعه، كما أنَّ السيدة الزهراء عليها السلام اختارت اللفظ المُعَبر الموحي ببلاغة عالية صادرة عن وعي وفكر قل نظيرهما ومثيلهما إلَّا عند نبينل الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأمير البلاغة والفصاحة والبيان الإمام علي عليه السلام، فارتقتْ بأساليبها وفصاحتها إلى درجة البلغاء؛ إذ جعلت الألفاظ ناطقة معبرة على الرغم من الموقف الذي ينأى فيه العقل عن التعقل والتدبر، فجاءت بجمل وعبارات قمة بالحكمة والعلم، وأظهرت الدِّراسة انَّ الجانبُ الدِّلالي يتكاملُ معَ الجانبِ الشِّكلي في تحديدِ المعنى المُراد مِنْ النَّصِ، كما يقومُ الحذفُ بإيقادِ ذهن القارئ، لمعرفةِ المحذوف وملء تلكَ الثَّغرة التي خلَّفها الحذف، وهي تشبهُ في ذلكَ الإحالةُ المقامية؛ لذا يعدُّ كلًا مِنْ الحذفِ والإحالةِ المقامية مِنْ أقربِ وسائل الاتساق الشِّكلي إلى الانسجامِ؛ ولأنَّهما يصبانِ في قالبِهِ.

الكلماتُ المفتاحية: السَّبْكُ، الحَذْفُ، المَعَاْنِيّ التِيّ يُحَقِقهَا الرَّبْطُ، الخطبةُ الفدكية.

Abstract

The grammatical cohesion of the honorable sermon was investigated. The syllables of the sermon were coherent and cohesive by relying on synthetic tools، in the light of which she (peace be upon her) was able to make the text linked in its sentences and syllables، equivalent only to the Prophet Muhammad (May God bless him and his family) and the prince of eloquence Imam Ali (peace be upon him) as it made the words eloquent and expressive despite the hard situation that might affecxt one's feelings. The sermon was full of sentences and phrases of wisdom and knowledge.

This study concludes that the semantic element coincides with the constructive element in determining the targeted theme. Deletion and reference are among the closest means of formal consistency to harmony.

Keywords: cohesion، deletion، the meanings achieved by linking، the Fadak sermon

المقدمة

الحمدُ لله جلَّت أسماؤُه، وسمتْ أوصافُه، الذي علَّم الإنسانَ، وشرَّف العربيَّةَ بنزولِ القرآن، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ على النَّبيِّ الأمينِ، الذي فتحَ أبوابَ العلمِ والرحمةِ للعالمينَ، وعلى غصنِ دوحتِهِ، وأوَّل مَنْ صَدَّقَ برسالتِهِ، وعلى الصدِّيقةِ الزهراءِ البتولِ، وعلى الذريّة الطاهرة، مِنْ ولدِهم أجمعينَ.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ المتأمِّلَ في الدَّارساتِ اللسانيةِ الحديثةِ يجد أنَّها أسهمتْ بولادةِ علمٍ جديدٍ يُعرَفُ بـ(نحوِ النَّصِ)، إذ يقومُ هذا العلمُ على تجاوزِ الرَّبطِ بيّن أجزاء الجملة الواحدة، إلى الربطِ بيّن مجموعة من الجملِ، فهو ينبثقُ من النَّظرةِ الكليةِ للنَّصِ مِنْ دُونِ الفصلِ بيّن أجزائِهِ، ليُظهر – أعني النَّص – نسيجًا واحدًا، وبنيةً متكاملةً، ومِنْ ثَمَّ الحكم على جودةِ النَّصِ.

لقد عُنِيَ البحثُ بالخطبةِ الفدكيةِ للسَّيدةِ الزَّكيَّةِ فاطمة الزَّهراء عليها السلام بنت الرَّسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، للكشفِ عن الجوانبِ النَّصيَّةِ في النَّصِ، مستفيدًا ممَّا قدَّمته الدَّارسات الغربية في هذا المجال، تلك التي اعتمدت على مجموعة من المعايير التي حُدِّدتْ بسبعةِ معايير في ضوئها يكون الحكم على نصيةِ النَّصِ، وهي:السَّبك، والحبك، والقصد، والقبول، والتناص، ورعاية الموقف، والإعـلام، وقد وقع الاختيار على معيارٍ واحـدٍ مِنْ هذهِ المعايير، وهو (السَّبك) دارساً إياه دراسةً نحويَّة تطبيقةً على نصٍ لطالما تَـرَدَدَ على لسانِ محبي أهلِ البيتِ، وأقتبسه أغلب أهلُ العلمِ والفضلِ في خطبهم، أو الدفاع عن حقهم، فخطبةِ سيّدةِ النِّساءِ عليها السلام اختصرتْ ما جرى بعد رحيلِ المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، في نصٍّ مُعَدٍّ أفضل إعدادٍ، ومنظّم أحسنَ تنظيمٍ، لوقائعٍ جرت في مجتمعِ المسلمينَ الأوَّل، ثبّتتْ فيه اعتراض بيتِ النبوّةِ.

وكان لهذهِ الخطبةِ أهميَّةٌ كبيرةٌ؛ لأنَّها صدرتْ مِنْ بيتِ النبوّةِ في لحظةٍ تأريخيّةٍ فاصلةٍ، لحظة الإحساس بالانعطافِ الكبير بعد رحيلهصلى الله عليه وآله وسلم، لحظة تصرّف صحابتِهِ، وأقرب النّاس إليه، وهذا واضحٌ، في قول السيدة الزهراء عليها السلام: «**أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم... فَتِلْكَ وَاللهِ النّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ... ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ على أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرينَ﴾** (سورة آل عمران: ١٤٤)» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٢).

إذ تفصح الخطبةُ وما يحيطُ بها عن محنةِ التغيير،، وشـدَّةِ التداخل والاختـلاف، فتعترضُ السَّيدةُ الزهراءِ عليها السلام على آفاق المنهج الجديد الذي بدتْ مـلامـحُ تأسيسهِ تتّضِـحُ، وأخـذ يفرض وجـوده السياسي والإعلاميّ والاقتصاديّ مدعومًا بجهدِ الدولةِ الجديدة التي صارت تنحاز إلى غير العترة الطاهرة.

إنَّ العناية اللغويّة والأدبيّة والنقديّة بهذه الخطبة مهمّة على مستوى التحليل النَّصيّ والاستشهاد الثقافي والاجتماعي، إذ بفهم هذه الخطبة حاجة إلى إعـادة نظر من زوايـا جديدة، وأدوات معرفية مختلفة، تكشف عن منطقها وأسرارهـا وتأويلها

وفهمها؛ لذا نجد الكثير من العلماء القدامى قد اهتم لدراستها وشرحها وبيان مفرداتها (ينظر: اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام، محمد علي بن أحمد الأنساري القراجة داغي التبريزي الأنصاري، وكشف المحجة في شرح خطبة اللمَّة، السيد عبدالله شبر، والزهراء عليها السلام وخطبة فدك، للعلَّامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، والدرَّة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام، العلَّامة السيد هادي الحسيني الصائغ، وشرح خطبة الصدِّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام للشيخ محمد طاهر الخاقاني، والزهراء عليها السلام خير نساء العالمين، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وفاطمة من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني)، فضلًا عن الدِّراسات الحديثة التي درسات هذا الخطبة بمستوياتٍ مختلفةٍ وبأساليبٍ متعددةٍ(ينظر: البنى التركيبة في خطبة الزهراء عليها السلام، والإيحاء والتصوير في خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة في البنى الأسلوبية، الدكتور جنان محمد مهدي، والبنى الصرفية في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، الدكتور بان صالح مهدي الخفاجي، والخصائص الأسلوبية في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، الدكتور طلال خليفة سلمان، وخطبة الزهراء عليها السلام الكبرى دراسة في الأسلوب والفن، الدكتور حسين لفتة حافظ وعواد كاظم لفتة، وخطبة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة دلالية، المدرس المساعد رُسل عباس محمد شيروزة، والصيغ الصرفية وأثرها الدلالي في خطبة الزهراء عليها السلام، المدرس المساعد محمد فيصل حسن الموسوي، وكسر أفق التوقع في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، الدكتور طلال خليفة سلمان، وغيرها الكثير جدًا)؛ لأنَّ خطبتها عليها السلام امتازت بعمقِ معانيها، ودقّةِ البيان فيها، وفصاحةِ ألفاظها، وقوَّةِ تركيبها، وجمالِ أسلوبها، وحُسنِ أدائها، مفصحةٌ عن بلاغةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وفصاحتهِ، ومنطقُ عليٍ عليه السلام وخطابه.

وحاولت جاهدًا – في هذا البحثِ – تطبيق معيار السَّبك النَّحوي على الخطبةِ الفدكيةِ، مستهلًا البحث بمقدِّمةٍ، وَمِنْ ثَمَّ لحقتها ثلاثةِ مباحث، وخاتمةٍ.

أمَّا المبحث الأول فقد تناولتُ فيهِ السَّبْكُ فِي الْمُعْجَمِ وَالاصطِلَاْحِ وَالْوَظِيْفَةِ، واشتمل المبحثُ الثَّاني على الحَذْفِ فِيْ الْخطْبَةِ الْفَدَكِيَّةِ، وعرضتُ في المبحثِ الثَّالث: المَعَانِيّ التِيّ يُحَقِقهَا الرَّبْطُ فِيْ الْخطْبَةِ الْفَـدَكِيَّةِ.

ولا بُدَّ مِنْ الاشارةِ إلى أنَّ الباحثَ اعتمد منهجَ التطبيقِ أكثرَ مِنْ التَّنظيرِ؛ لأَنَّ طبيعةَ الدِّراسة تقتضي ذلك، فهي دراسةٌ تقوم على إظهار السَّبْكُ النَّحوي وَ بيَّان أَثَرُهُ فِيْ بِنَاْءِ الْنَّصِ، وترابط أجزائهِ، وإبرازهِ بوصفهِ وحدة متكاملة، ولا ريب في أنَّ ذلك يتعلق بتطبيقِ هذا المعيار على النَّصِّ.

المبحثُ الأولُ: السَّبْكُ فِي الْمُعْجَمِ وَالاصطِلَاْحِ وَالْوَظِيْفَةِ

السَّبكُ فِيْ الْمُعْجَمِ الْعَرَبِيْ

السَّبكُ لُغَةً: السَّبكُ فِيْ اللُّغَةِ هو: تَسْبِيْكُ السَّبيكةِ أيّ هو عمليةُ إِذَابَةِ الذَّهَبِ، أو الفضةِ، ووضعها فِيْ قالبٍ من حديدٍ؛ حتى تَخْرُجُ مُتَمَاسكةً متلاصقةً، وتُسمَّى حينئذٍ سَبِيْكَةً (الفراهيدي: ١٩٨٨م: ٢/ ٢١٤)

و(ابن منظور: ١٠/ ٤٣٨) و(الزبيدي،٢٠٠٠م: ١/ ٦٧١٤) و(الرازي،١٩٩٩م، ص ١٥٣)، وقد اسْتُعمِلَ المصطلح للدَّلالةِ عَلَى الكلامِ مِنْ بَابِ المجازِ، قال الزمخشري: «وَمِنْ المَجَازِ: هذا كلامٌ لا يُثبتُ عَلَى السَّبكِ، وهو سبَّاكٌ للكلامِ»(الزمخشري: ١٩٩٨م: ١/ ٤٣٦).

وفي ضوءِ ما تقدم يَتَبَيَّنُ وجودُ علاقةٍ بيّن المعنيين المعجميّ والمجازي الذي انتقلتْ إليه دلالة اللفظة، وذلك لإنَّ المتكلم يقومُ بجمعِ ألفاظٍ من شتاتٍ، فيجمعها في ذِهْنِهِ فتخرجُ متماسكةً، وقد يُخطئ سبَّاكُ الذَّهب، فتخرجُ السبيكةُ مشوهةِ المظهرِ، كذلك يخرجُ الكلامُ من فمِّ المتكلمِ، إمَّا حسُنُ السَّبكِ لإجادةِ المتكلم الصياغة، أو رديء السَّبكِ فتمُجُّهُ الأذنُ لعيٍّ صاحبِهِ.

السَّبكُ اصطِلَاْحًا: هو المعيارُ الذي يهتمُّ لبشكلِ النَّصِ، ويدرسُ الوسائلُ التي تتحققُ بها خاصة الأستمرار اللفظي، فهو يترتبُ على إجراءاتٍ تبدو بها العناصر على صورةِ وقائع يؤدي السَّابق منها إلى اللاحق، حتى يتحققَ لها الترابط الرصفي (روبرت دي بوجراند:١٠٣)..

وعَرَّفَهُ الدكتور تمَّام حسَّان بقولهِ: «السَّبكُ إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الربط النحوي من جهة أُخرى، واستصحاب الرتب النحوية إلَّا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي، ورعاية الأختصاص والافتقار في تركيب جملي» (حسَّان،٢٠٠٦م: ٢/ ٢٥٦).

وظيفةُ السَّبكِ النَّصيّ: يَعدُّ السَّبكُ العنصر الجوهري في تشكيلِ النَّصِّ وتفسيره، فيعملُ السَّبكُ على جعلِ الكلامِ مُفيدًا، ويعملُ على استقرار النَّصِّ وثباتهِ، بعدم تشتت الدَّلالة الواردة في النَّصِّ، وتنظيم بنية المعلومات داخل النَّصِّ. هذا كُلُّهُ يساعدُ القارئَ على فهمِ النَّصِّ عن طريق متابعة خيوط التَّرابط المتحركة من خلالَ النَّصِّ التي تُمكنهُ مِنْ ملءِ الفجوات، أو معلومات ما بين السُّطور التي لا تظهر في النَّصِّ ولكنَّها ضرورية (لعيبي: ١٩١١/ ٧٤)، ويرى (فان دايك) أنَّ السِّماتَ الشَّكليَّة في النَّصِّ تحدد بنيته الدَّلاليَّة (فان دايك٢٠٠١م: ٢٧٥).

وتُؤدي أدوات السَّبكِ وظيفتها بالنَّصِّ زيادة على كونها وحدات نحويَّة تربطُ بين الجمل بعضها ببعضها الآخر، فهي وحداتٌ وظيفيَّة تؤدي دورًا في تكوينِ النَّصِّ، وهذا يبدو واضحًا في تعريفِ (هاليداي) للسَّبكِ إذ يرى أنَّ مفهومَ السَّبكِ «مفهومٌ دلاليٌّ، ويقصدُ بهِ العلاقات المعنويَّة الموجودة داخل النَّصِّ، والتي تعرفه كنصٍّ» (هالدي ورقية حسن: ٧٥)، فينظَرُ للسَّبكِ بأَنَّهُ مجموعة مِنْ البنى الدَّلاليَّة والتَّركيبيَّة التي تربطُ الجمل على نحو مباشر بعضها ببعض مِنْ دونِ الرُّجوع إلى المستوى الأعلى للتحليل، أي: مستوى البنية الكُبرى، فيتحققُ الرَّبطُ بوساطة علاقات دلاليَّة أساسيَّة؛ إذ يعتمدُ تفسير أحد العناصر في النَّصِّ على العنصر الآخر؛ لذا قد يقعُ الرَّبطُ داخل الجملةِ أو بين الجمل (محمد٢٠٠٧م:٩٠). والسَّبكُ خاصيَّة دلاليَّة للنصِّ، يعتمدُ على فهمِ كُلِّ جملة مكونة للنصِّ في علاقتها بما يُفهمُ مِنْ الجملِ الأخرى، وتقومُ أدواتهِ بوظيفةِ إبراز ترابط العلاقات السببيَّة

بين العناصر المُكونة للنَّصِّ في مستواه الخطي المباشر (بحيري٢٠٠٤م: ١٢٣)، ويمثلُ السَّبكُ انطلاقًا مِنْ الشَّكل إلى الدَّلالة، إذ إنَّ الرَّوابطَ التي تربطُ ظاهر النَّصِّ تحتوي على قدرٍ مِنْ الدَّلالةِ تمَّ الرَّبطُ على وفقهِ (عبد الكريم، ٢٠٠٩م: ٢٢٢).

فالإحالةُ مثلًا تخضعُ لقيدٍ دلالي، وهو وجوبُ تطابق الخصائص الدِّلاليَّة للعنصرِ المحيل والعنصر المحال عليهِ (فرج، ٢٠٠٧م، ٨٤)، ويمثلُ الحذفُ جزءًا لا يتجزأ مِنْ عمليَّةِ فهم النَّصِّ وتفسيرهِ، بل هو جزءٌ مِنْ عمليَّة تفاعل النَّصِّ بين الباث والمتلقي، ممَّا يجعلُ له أثرٌ بارزٌ في الكشفِ عن تماسكِ النَّصِّ وخصوصيتهِ (الفقي، ٢٠٠٠م: ١/ ١١٧)، أمَّا التِّكرار فإنَّهُ يُوظَّفُ مِنْ أجلِ تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنَّصِّ، وشرط هذا التَّوظيف أن يكون للعنصرِ المُكرر ذكرٌ بنسبةٍ عاليَّةٍ تميزهُ عن نظائرهِ، وأن يعملَ رصدهُ على معرفةِ معاني ودلالات النَّصِّ، ويحملُ طاقةً وظيفيَّةً تتمثلُ في الدَّعمِ الدَّلالي لمفرداتٍ محددةٍ في النَّصِّ، وإبقاءها بارزة للمتلقي، وتكرار هذهِ المفردات بعينها مِنْ دونِ غيرها يؤكدُ فائدتها في بناءِ المعنى (فرج،٢٠٠٧م: ١٠٧ – ١٠٨).

السَّبْكُ فِيْ مَنْظُوْرِ عِلْمِ النَّصِّ: السّبْكُ يُرادُبِهِ: الرَّبطُ اللفظي وهو التَّتابعُ في البناءِ الظَّاهر لنصٍ عن طريقِ استخدام وسائل الرَّبط اللغويَّة والقاعديَّة المختلفة (حامد، بحث منشور في موقع رابطة أدباء الشام **www. odabasham. Net: 8**). ويختصُ معيار السَّبك برصدِ الاستمرارية(الاستمرارية (**continuity**) صفة تعني التواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكونة للنص) المتحققة في سطح النَّص (ظاهر النَّص) (**surface text**) (عبد المجيد، ٢٠١٠: ١٧)، وهذا المعيار يهتمُ لبظاهرِ النَّص، ودراسة الوسائل التي تُحققُ بها خاصية الاستمرار اللفظي، وهو يترتبُ على إجراءات تبدو بها العناصر السَّطحيَّة على صورة وقائع يـؤدي السَّابق منها إلى اللاحق (عفيفي، ٢٠٠٨م: ٩٠)، فالسَّبكُ يهتمُ بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وبين جمل النَّص وفقراتهِ، وبين النُّصوص المكونة للكتابِ، ومِنْ ثَمَّ يُحيطُ السَّبكُ بالنَّصِ كاملًا داخليًا وخارجيًا (الفقي، ٢٠٠٠م: ٩٦ – ٩٧).

وتبرزُ أهميةُ السَّبك عند علماء لغة النَّص بوصفهِ مِـنْ أهم المعايير النَّصيَّة؛ فهو عنصر جوهري في تشكيل النَّص وتفسيرهُ، وإذا أصبح الكلام خاليًا مِنْ عنصر السَّبك صار غير واضح ويشوبهُ الغموض (فرج،٢٠٠٧م، ٨٠)، ويعدَّهُ (دي بوجراند) عاملًا مهمًا في تحقيقِ الكفاءة النَّصيَّة بقولهِ: «وتعد هذهِ البدائل كما هو واضح مساهمة مهمة في إيجاد الكفاءة النَّصيَّة، وهي صياغة أكبر كمية مِنْ المعلومات بإنفاق أقل قدر مِنْ الوسائلِ(بوكران، ١٩٩٨م: ٢٩٩)، فهو بذلكَ يلعبُ دورًا مهمًا في عمليةِ بناء النَّص، وتنظيم بنية المعلومات، ولكون السَّبك يُحققُ استمرارية الوقائع في النِّص، فهذا يُساعد القارئ أو المتلقي في متابعةِ خيوط التَّرابط المتحركة عبرَ النَّص التي تمكنهُ مِنْ فهمَ النَّصِّ وتفسيره (محمد، ٢٠٠٧م: ٩٩).

وتخلقُ عناصر سبك أجزاء النَّص تواصلًا بين أجزاء السياق (حسَّان،٢٠٠٦م: ٢/ ٢٥٦)، ويخلقُ كذلكَ استعمال الكاتب لهـذه العناصر إحساسًا بالانفرادِ بالنَّصِّ، وتغدو هذه العناصر مرآة لثقافةِ الكاتب التي هي جزء مِنْ ثقافةِ عصرهِ وجزء مِنْ

علاقتهِ بالمتلقي؛ ممَّا يُؤدي إلى وجودِ إحساسٍ مستمرٍ بالألفةِ اتجاه لغة النَّص وصياغتهِ والانفراد النَّفسي بها (فرج،٢٠٠٧م، ٧١).

ودُرسَ السَّبكُ مِنْ جهةِ التَّطبيق عند جملة مِنْ الباحثينَ النَّصيينَ (الفقي، ٢٠٠٠م: ٢٠٤-٢٠٥، أبو عفرة ٢٠٠٨م: ١٧١)، على وفق تقسيمات (هاليداي ورقيّة حسن)؛ إذ قَسّما السَّبك على السَّبكِ النَّحويّ، والسَّبكِ المعجميّ، بينما نجدُ مِنْ الباحثينَ مَنْ انطلق مِنْ فكرةِ (دي بوجراند) وزميلهُ (دريسلر) في كتابهما مدخل إلى علم لغة النَّص سنة (١٩٨٣م) والتَّوقُّفِ إزاء مصطلح (التَّنغيم)، واعتبرَهُ مِنْ المحاورِ الصَّوتيّة الرَّئيسة لمصطلح (الاتساق)؛ وجعل للربطِ، أو السَّبكِ ثلاثة عناصر (فرج،٢٠٠٧م، ٨٣): السَّبكُ الصَّوتيُّ، والسَّبكُ المعجميُّ، والسَّبكُ النَّحويُّ، والباحثُ يقبَلُ هذا التَّقسيم.

المَبْحَثُ الثَّانِيّ: الحَذْفُ فِيْ الْخطْبَةِ الْفدَكِيَّة

إنَّ وجودَ بعض الظواهرِ النَّحويةِ والبلاغيةِ في النُّصوصِ يجعلُ منها نصوصًا حسنة الصِّياغةِ، وبليغة الأداءِ. كذلكَ اختفاء أجزاء مِنْ النَّصِ يزيدُ مِنْ جمالها ورونقها، ويغرسُ عنصرَ الجذبِ والتَّشويقِ لمعرفةِ المجهولِ؛ ليصبحَ الحذفُ في بعضِ الأحيانِ في النَّصِ أبلغُ وأكملُ مِنْ الزيادة عليه؛ ولاسيما في الأحداثِ والقصصِ المطولةِ التي تحتاجُ إلى سردٍ المفصَّلِ، ولمَّا كانت اللغةُ العربية تميلُ إلى الاختصارِ، فإنَّ الحذفَ فيها تكمنُ فيهِ جُمَلًا ثانويةً يُمكِنُ الاستغناء عن حدثٍ ما في التعبير دون تغييرٍ في المعنى، لوجود ما يُغني عن وجودها، فلا بدَّ مِنْ دليلٍ مقاليٍّ أو مقاميٍّ يدلُ عليها عند حذفها.

ويعدُّ الحذفُ ظاهرةً لغويةً عامةً تشتركُ فيها اللغاتُ الإنسانيةُ، وأنَّ له مِنْ الأهميةِ ما لا يُستغنى عنهُ في النُّصوصِ بأنواعها؛ وذلك لا يكونُ إلَّا إذا كانَ الباقي في بناءِ الجملةِ بعدَ الحذف مُغنيًا في الدَّلالةِ كافيًا في أداءِ المعنى، وقد يُحذفُ أحدُ العناصرَ المكونةِ لهذا البناءِ، لوجود قرائن معنوية أو مقالية تدلُ عليه، ويتحققُ في حذفهِ معنى غير متحققٍ في ذكرهِ (عبد اللطيف، د.ت: ٢٥٩)، فما ليسَ لهُ وظيفة رئيسة في النَّصِ، ولا يُعَدُّ فرضًا تترتبُ عليهِ نتائج حتى نهاية النَّصِ، فإنَّهُ يُمكِنُ حذفهُ مِنْ النَّصِ بسهولة (فضل، ١٩٩٢م: ٢٣٨).

والحذفُ هو أن تحذفَ شيئًا مِنْ الكلامِ، فالحذفُ في كلامِ العربِ أسلوبٌ معهودٌ ومسلكٌ معروفٌ، يعمدُ إليهِ المتكلمُ، لتحقيق أغراضٍ بلاغيةٍ معينةٍ تفيدُ في تقويةِ الكلامِ وإخراجهِ على الأسلوبِ الأمثلِ، بلحاظ ان ظاهرةُ الحذفِ مِنْ الظواهرِ الأسلوبيةِ الواضحةِ في التركيبِ اللغوي التي يميلُ إليها المتكلمُ، للإيجازِ والاختصارِ، فيختزلُ أجزاءً مِنْ الكلامِ إذا وجد ما يدلُّ عليها مِنْ القرائنِ (ناصح، ٢٠٠٦م:٢٩٨)؛ لأنَّ وراءَ الحذف أسرارًا ومزيا، ولا يدركُ هذهِ الأسرار والمزايا إلّا الخبير بأساليبِ الكلامِ، والذي لهُ معرفة بطرائقِ القولِ، فالمتكلمُ يُسقطُ جزءًا مِنْ أجزاءِ الكلامِ، ولا يختلُ المعنى بهذا الإسقاط، بل يزيده حُسنًا وجمالًا ورونقًا، وتكثرُ فوائدهُ ومزاياهُ (الياسري، ٢٠١٧م:١١٤)، ومِنْ هذهِ الفوائد كأن يكونَ الحذفُ بقصدِ التَّفخيمِ والتَّعظيمِ أو زيادة في الكلامِ في ضوءِ استنباط الحرف المحذوف، أوطلبًا

للإيجازِ والاختصارِ أوغير ذلك مِنْ الفوائدِ البلاغيةِ (المسدي، د.ت:٥٤-٥٥)، ولَمَّا كانت اللغةُ العربية لغةَ الاختصارِ، فالمتكلمُ يحاولُ أن يُوصِلَ ما يريدهُ مِنْ أفكارهِ بأقلِ ما يمكنُ من الكلماتِ شرطَ أن يكونَ هذا الاقتصاد في القولِ غيرَ مُخلٍ بالمعنى.

وَذَكَرَ ابن هشام الأنصاري الحذفَ باستفاضةٍ إذ بدأ بشروطِ الحذفِ الثَّمانيةِ، وهي: الأولُ: وجودُ دليل على المحذوفِ، الثاني: ألَّا يكونَ ما يُحذَفُ كالجزءِ الفاعل ونائبه وشبهه، الثالثُ: ألَّا يكونَ مُؤكدًا، الرابعُ: ألَّا يؤدي حذفهُ إلى اختصارِ المختصرِ، الخامسُ: ألَّا يكونَ عاملًا ضعيفًا، السادسُ: ألَّا يكونَ عُوضًا عن شيء، السابعُ والثَّامنُ: ألَّا يؤدي حذفهُ إلى تهيئةِ العامل وقطعه عنهُ.

ثمَّ تناولُ الحذفَ بكلِّ جوانبهِ وما يُحذفُ مِنْ الكلامِ، وتناولُ أيضًا أنَّ الحذفَ يتمُّ في الجملةِ الثَّانيةِ، ويدلُّ عليهِ دليلٌ في الجملةِ الأولى (الأنصاري، ٢٠٠٨م: ٢/ ٦٩٢ـ ٧٤٧).

شُرُوْطُ الْحَذْفِ: يُمكِنُ إجمال شروطُ الحذفِ فيما يأتي (عفيفي، ٢٠٠٨م: ٢٧٦ - ٢٧٩):

١. أمنُ اللبس على المستوى اللفظي والمعنوي بعدَ عمليةُ الحذفِ؛ فلا تختلطُ المعاني ببعضها أو تختلطُ الألفاظ فيكونُ اللبس.
٢. ألَّا يؤدي الحذفُ إلى غموضٍ في تحديدِ المعنى المُراد، وإذا حدثَ الغموض فلا حذف.
٣. ألَّا يكونَ المحذف مُؤكدًا؛ فلا يجوزُ توكيد الشيء المحذوفِ.
٤. ألَّا يؤدي الحذف إلى ثقلٍ آخر أشدُّ على الجهازِ النُّطقي مِنْ الثقلِ الأولِ، كأن يؤدي حذف التنوين مثلًا إلى إلتقاءِ ساكنينِ.

ومما تقدّم اصبحَ مِنْ الضروري تقدير المحذوف؛ حتى لا يُؤخذُ الكلامُ بحسب مقتضى الظاهر، أي ما يقومُ بهِ الحذفُ مِنْ دورٍ في تنشيط خيال المتلقي وإثراء دلالات النَّصِ للوصولِ إلى المعنى في ضوءِ المعرفة المسبقة للقارئ ووجود قرآئن تدلُّ على المحذوفِ، وتساعدُ القارئَ في ملءِ الفجوات في النَّصِ (محمد، ٢٠٠٧م: ١٧٥).

أنواع الحذف: يقع الحذف عند هاليداي ورقيّة حسن تحت ثلاثة أنواع (محمد، ٢٠٠٧م:):

١. الحذف الاسمي (**Nominal Ellipsis**).
٢. الحذف الفعلي (**Verbal Ellipsis**).
٣. الحذف الجملي(**Clausal Ellipsis**).

١. **الحذفُ الاسمي (Nominal Ellipsis)**: ويعني حذف اسم داخل المركب الاسمي، ويقررُ الباحثان هاليداي ورقيّة حسن؛ أنَّ الحذفَ الاسمي لا يقعُ إلَّا في الأسماءِ (خطابي، ٢٠٠٦: ٢٢)، وحذفُ الاسم ورد في مواضعٍ متعددةٍ في خطبة السَّيدةِ الزَّهراءِ(عليها السَّلام)، ومن نماذجه «اِبْتَدَعَ الأَشْيَاءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتًا لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهًا عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهارًا لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّدًا لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازًا لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ» (الطبرسي: ٢٠٠٨م:

١/ ١١٣)، مِنْ المُلاحظِ في هذا النص الشَّريفِ أَنَّ السَّيدةَ الزَّهراءِ عليها السلام لم تذكر الفاعل في كلِّ هذهِ الجُملِ؛ لأَنَّهُ معلوم ولا حاجة إلى ذكرهِ وهو (لفظ الجلالة الله)، فهو- عزَّ وجلَّ- الذي يُكوّنُ الأشياءَ بقدرتهِ، وهو الذي يضعُ العقابَ والحسابَ، ويبتدعُ الأشياءَ مِنْ العدمِ لا مِنْ شيءٍ كانِ قبلها، فضلًا عن أنَّ تكرارَ الاسمِ يؤدي إلى الملل لدى السَّامعِ، ناهيك عن موقف الخطبةِ الذي لا يسمحُ بهذا التِّكرارِ إذ أرادتْ عليها السلام أن تحملَ أكبرَ قدرٍ من المعاني التي أفصحت عنها، وإنَّ هذا الايجار لم يكن الغايةَ الوحيدة للحذفِ، فثمة معانٍ أخرى حققها الحذف غير الإيجاز، كتسهيلِ الحفظِ، وتقريبِ الفهمِ، ولعلَّ الحذف في هذا المقطع واقع عن قصدٍ مِنْ قبل السَّيدة الزَّهراء عليها السلام أي لعلها عليها السلام تعمَّدتْ عدم الإفصاح عن المحذوفِ؛ لأنَّ في ذكرهِ معنى غير الذي يكون في حذفهِ (لعيبي، ٢٠١٠م: ١٩١).

وبذلك يُسهِمُ الحذفُ في التَّماسكِ النَّصيّ على المستوى السطحي والدَّلالي (الفقي، ٢٠٠٠م: ٢/ ٢٠٧).

وتقولُ السَّيدةُ الزَّهراء عليها السلام في نصٍ آخرٍ: «أَنْتُمْ عِبادَ الله نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١١٣) أنَّ (عِبادَ) منادى مضاف حُذف منهُ حرف النِّداء، وعندما حُذفَ حرف النِّداء حقق إيجازًا في القولِ، إذ إنَّ مِنْ دواعي الحذف هو الإسراعُ والعجلةُ حتى يفرغُ المتكلمُ مِنْ كلامهِ بأقلِ وقتٍ ممكنٍ، أو يُرادُ بهِ الإيجازُ إذ كانَ المقامُ يقتضي ذلكَ (حجازي، ٢٠٠٧: ٩٠)، فحذفُ حرفُ النِّداءِ إشارةٌ إلى الحرصِ على التنبيهِ، فإنَّ المطلبَ الذي أُلقي إليهم أمر خطير لا بُدَّ أنَّ يُنبه المخاطب عليهِ، لئلا يذهبُ عليهِ ويفوتَ عنهُ من جهة الإشتباهِ والغفلةِ هذا مِنْ جهةٍ، ومِنْ جهةٍ أخرى حذف حرف النِّداءِ تنبيهًا على أنَّ المطلبَ مهمٌ فيلاحظُ حتى لا يفوت بطولِ النِّداءِ، وهذهِ النُّكتة لُحظت في لفظِ (عباد الله) خاصة غالبًا في الخُطبِ الواردةِ عن الائمةِ الطاهرةِ (عليهم جميعًا سلامُ الله) (الأنصاري، ٢٠١١م:٤٩٧).

وتقولُ عليها السلام في نصٍ آخرٍ: «أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ٩٩) أنَّ (أيُّها) منادى حُذِفَ منهُ حرف النِّداءِ؛ وذلكَ بسبب كثرة الأستعمال، وقد حققَ هذا الحذفُ إيجازًا في القولِ، فإذا أُريدَ المبالغةُ في التَّنبهِ ذُكر حرف النِّداءِ فيقالُ: يا أيُّها النَّاسُ، وإذا أُريدَ الإشارة إلى الاستعجالِ وضيقُ المجال ولو مِنْ حيث الإبهام إلى ضيقهِ مِنْ حيث الإهتمام لذكرِ المطلوب الأهم حُذِفَ حرفُ النِّداءِ، إذ إنّ مِنْ دواعي حذف حرف النِّداء الإسراعُ والعجلةُ بقصدِ الفراغِ مِنْ الكلامِ بسرعةٍ، أو للإيجارِ إذا كانَ المقامُ مقام إيجاز واختصار (السامرائي، ٢٠١١م: ٤/ ٢١٨)، وأصل المنادى في هذا المقطع واقعًا هو (النَّاس)، وظاهرًا هو أيَّها، والناس بدل أو صفة أو عطف بيان، فإنَّ تعليل حذف حرف النِّداء، لغرض الإيجاز والاقتصاد أمر دقيق وليس عليه غبار، إلَّا أنَّ الزمخشري يرى أن الحذفَ لهُ نكتةً أخرى وهي تقريبُ المنادى مِنْ المتكلمِ وتلطيفُ لمحله عنده (الأنصاري، ٢٠١١م: ٥٨٦، الزمخشري، ١٩٧٧م: ٢/ ٣١٥).

وتقول عليها السلام في نصٍ آخرٍ من خطبتها الذي

اقتبستهُ مِنْ القرآنِ الكريمِ: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾ (سورة الشعراء ٢٢٧)، «أي منصوب على أنَّـهُ صفة مصدر محـذوف، والعاملُ فيهِ ينقلبونَ؛ لأنَّ ما قبل الأستفهام لا يعملُ فيهِ، وإنَّـما يعملُ فيهِ ما بعده، التقدير سيعلم الذين ظلموا ينقلبون انقلابًا أي انقلاب؟» (التبريزي، ٢٠١٢:٣٩٧).

٢. **الحذفُ الفعلي: (Verbal Ellipsis)**وهو حذفُ عنصر فعلي مِنْ التَّركيبِ (خطابي، ٢٠٠٦: ٢٢).

وحذفُ الفعلِ مِنْ السِّياقِ وَرَدَ في خطبةِ السَّيدةِ الزَّهراءِ عليها السلام كَمَا في قولها: «وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٤)»، جاءَ الفعلُ الماضي (أرى) محذوفًا، وقد دلَّتْ عليه قرينةُ الحالِ، هي الجملة التي سبقتها إذ تقولُ(عليها السَّلام) فيها: « أَلا قَـدْ أرى أنْ قَـدْ أَخْلَدْتُمْ إلَى الْخَفْضِ» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٤)، فحُذِفَ الفعلُ (أرى)؛ لوجودهِ في الجملةِ الأولى، وتقديرُ الجملةِ الثَّانية:(أرى أنْ أبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ)، فـ«مِنْ عادةِ العربِ الإيجازُ والاختصارُ، والحـذفُ طلبًا لتقصيرِ الكلامِ واطِّـراحِ فضولهِ، والاستغناءُ بقليلهِ عن كثيرهِ، ويُعَدُّ ذلكَ فصاحةً وبلاغةً (المرتضى: ٢/ ٢٦٥)، وتقديرُهُ مؤخرًا أولى؛ لأنَّ المتكلمَ-أعني السَّيدة الزَّهراء عليها السلام- عالمٌ بما تؤولُ إليهِ الأمورُ، وأنَّ الاهتمامَ منصبٌّ على الغايةِ الحقيقيةِ، وهي الاحتجاجُ على أبعادِ مَنْ هو أحقُّ بخلافةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وآله، فالسَّيدة الزَّهراء عليها السلام كانتْ متوقعة منهم المَلَل والركون إلى الراحةِ والخمولِ، وإبعاد صاحب الحقِ عن حَقِّهِ مع علمهم بأنَّهُ أحقُّ مِمِنْ سواه؛ لأنَّهُ الأفضلَ والأقدرَ والأجدرَ والأكملَ في كُلِّ وجهٍ مِنْ وجوهِ القيادةِ والزَّعامةِ (الهديبي، ٢٠٠٢:٢/ ١٣٨).

وقد ساعدَ الحـذفُ على حفظِ المعنى مستمرًّا، ومتواصلًا في ذاكرةِ المتلقي؛ دونَ الحاجة إلى تكرارِ الفعلِ (شعلان، ٢٠٠٩: ١٢١)؛ وتظهرُ ملاءمة الحذفِ، لتعيين مدى إسهامهِ في سبكِ النَّصِ دُونَ إلحاق العُسْرِ بعنصرِ الفهمِ، ويمكنُ إدراج أغراضُ الحذفِ القائمة على مفهوم القصدية مِنْ قبيلِ التَّعظيمِ والاهتمامِ، وهذا ما يشيرُ إليهِ السياقُ (فرج،٢٠٠٧م: ٨٩).

وتقولُ عليها السلام في نصٍ آخرٍ من خطبتها: «لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلًا، وَغِبَّهُ وَبيلًا إذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبـانَ ما وَراءَهُ الـضَراءُ» (الـطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٦)، حُذِفَ الفعلُ (لَتَجِدَنَّ) المقترن بلامِ الأمرِ مِنْ الجملةِ الثَّانيةِ (غِبَّهُ وَبيلًا)؛ لوجودهِ في الجملةِ الأولى، وتقديرُ الجملةِ الثَّانية: (لَتَجِدَنَّ غِبَّهُ وَبيلًا)، فالسَّيدة الزَّهراء عليها السلام عندما حذفتْ الفعلَ (لَتَجِدَنَّ) مِنْ الجملةِ الثَّانيةِ حتى تكثف الكلام وتختصره؛ لأنَّ اختصارَ الكلامِ مِنْ سُننِ العربِ كما ألمعتُ سابقًا، فضلًا عن أنَّ خطابها عليها السلام في هذا المقطع الشَّريفِ فيهِ تهديدٌ ووعيدٌ إنـذارٌ مِنْ عاقبةِ ما فعلوهُ، فهم الآنَ يستسهلونَ الموقفَ ولا يجدونَ فيهِ أي محذورٍ، في حين آثارهُ وخيمة، ونتائجه وبيلة في الدنيا وثقيلة في الآخرةِ، لا يشعرونَ بنتائجهِ الآن وإنَّما إذا ظهرتْ النتائجُ، وعندها ينكشفُ الغطاءُ، فيرى الإنسانُ هناكَ ما لم يره هنا (القزويني، ٢٠٠٩م: ٢٩٨).

وفي ضوءِ ما تقدم نجدُ أنَّ حذفَ الفعل اسهم في سبكِ النَّصِ، وربطِ أجزائِهِ سطحيًا ودلاليًا محقِّقًا بذلكَ تماسكًا نصيًا، وأدّى إلى خلقِ جانب موسيقي في ضوءِ السَّجعِ والتوازي الذي يرسمُ بدورهِ صورةً مؤثِّرةً في المتلقّي، ممَّا يدفعهُ إلى الاستمتاعِ باستمرارِ القراءةِ والإصغاءِ دونَ عناءٍ ومللٍ.

٣. الحذفُ الجملي: (Clausal Ellipsis) هو حذفُ جملة اسمية، أو جملة فعلية، أو شبه جملة مِنْ النَّصِ.

تقولُ السَّيدةِ الزَّهراءِ عليها السلام في خطبةِ التي تُبينُ فيها عظم مصيبة فقدُ الأمَّةِ لنبيها صلى الله عليه وآله وسلم: «فَتِلْكِ وَالله النّازلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٣) حُذِفَتْ الجملةُ الاسميةُ مِنْ الجملةِ، إذ تقدَّمَ ما يدُلُّ عليها، والتَّقديرُ: (مَوتُ مُحَمَّدٌ وَالله النّازلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى)، فالزهراءُ عليها السلام تُخبرُ القومَ بمأساةِ الأمَّةِ، وتذكرهم بعظمِ المصيبةِ التي حلّت بهم، وهي مصيبةُ وفاة العظماءِ فوفاتهم تكونُ عظيمةً، فَكُلَّما كانتْ عظمةُ المتوفى أعظم وأكثر كانت مصيبةُ وفاتهِ أفجع وأعظم، إذ كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أعظم، وأشرف، وأكمل، وأحسن مخلوقٍ، وأطهرُ كائنٍ عرفتهُ الإنسانية، فَمِنْ الطبيعي تكونُ وفاتهِ صلى الله عليه وآله وسلم نازلةٌ كبرى، ومصيبةٌ عظمى، فلا توجدُ في العالمِ مصيبة أكبرُ وأعظمُ وأفجعُ مِنْ مصيبةِ وفاة الرَّسولِ صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنَّهُ لا يوجدُ في الكونِ مخلوقٍ كرسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فحتمًا تكون مِنْ أشدُّ المآسي على السَّيدةِ الزَّهراءِ عليها السلام، وأهلُ بيتِ الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم، فالحذفُ يُعطي مثالًا واضحًا على الموازنةِ بين (الإيجازِ والوضوحِ)، فعدمُ الحذفِ يتعارضُ ومبدأُ الاقتصاد اللغوي الذي تتسمُ بهِ النُّصوصُ البليغةُ، كما يصيبُ القارئَ بالملل مِنْ كثرةِ التّكرارِ (فرج،٢٠٠٧م: ٨٩).

وتقولُ عليها السلام في نصٍ آخرٍ من خطبتها: «فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق، والصِّيامَ تَثْبيتًا للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييدًا لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقًا لِلْقُلوبِ» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ٩٩) حُذِفَ الفعلُ والفاعلُ(جَعَلَ اللهُ) من الجملةِ الثَّانيةِ، والثَّالثةِ، والرَّابعةِ، والخامسةِ، لوجودهِ في الجملةِ الأولى، فالحذفُ خَلَقَ إيقاعًا في الكلامِ، ويأتي هذا الإيقاعُ أحيانًا مِنْ تسجيعِ الفقراتِ بالحذفِ؛ لإيناسُ أذُنُ المتلقّيّ (عطشان، ٢٠١٣م: ٤٤)، وَيَخلِقُ الحذفُ المستمرَ حافزًا ودفعًا للقارئِ إلى إعمالِ عقلهِ؛ لاكتشافِ الجملِ المحذوفةِ، وسد الفجوات لاستكمالِ عناصر النَّصِ الغائبةِ والوصول إلى درجةِ الفهمِ القصوى (فرج،٢٠٠٧م: ٩٢)، وبذلكَ يتحققُ التَّماسكُ النَّصيُّ؛ لمعاملةِ المحذوفِ مِنْ ناحيةِ الدَّلالةِ معاملة المذكور (محمد ٢٠٠٧: ١١٦).

وممَّا سبقَ تتضحُ أهميةُ وجود دليلٍ على المحذوفِ، ووجود هذا الدليل على مستوى أكثر مِنْ جملةٍ؛ فاذا كانَ المحذوفُ في جملةٍ، وكان الدَّالُ عليهِ مذكورًا في جملةٍ أخرى بشرطِ أنْ تُتحققَ المرجعيةُ بين المذكورِ والمحذوفِ في أكثرِ من جملةٍ فإنَّ هذا يُسْهِمُ في تحقيقِ السَّبكِ النَّصي بين الجملتينِ، خاصَّةً إذا كانَ المحذوفُ مِنْ لفظِ المذكورِ، أو مرادفهِ (الفقي، ٢٠٠٠م:٢/ ٢٠٨).

ونسوقُ مثالًا آخرًا على حذفِ شبهِ الجملةِ متمثلًا في قولها عليها السلام: «عِلْمًا مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُور،

وَإِحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠١) حُذِفَ شبه الجملة (مِنَ الله) مِنْ الجملةِ الثَّانيةِ، والثَّالثةِ، لوجودهِ في الجملةِ الأولى، أي إنَّ اللهَ سبحانهُ وتعالى اختار النَّبي الأعظم مُحَمَّدٍﷺ، واصطفاهُ واجتباهُ قبلَ خلقَ المخلوقاتِ أي إنَّ المخلوقات لازالتْ في غيبِ العدمِ مستورة ومحجوبة بأهاويلِ ظلمتهِ، فالغيبُ هو مِنْ معاني النِّسبة قد يكونُ هناكَ غيبٍ لجاهلٍ ولكن تقابله مشاهدة لعالمٍ، فإنَّ البرزخَ والأخرةَ مِنْ عالمِ الغيبِ، فهو تعالى عالمُ الغيبِ والشهادةِ العزيز الحكيم (التبريزي، ٢٠١٢:١٤٨)، وبذلكَ يتضحُ مستوى السَّبك النَّصي الذي خلقهُ هذا النَّوع مِنْ الحذفِ.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: المَعَانِيّ التيّ يُحَقِّقهَا الرَّبْطُ فِيْ الْخُطْبَةِ الْفَدَكِيَّة

يُعَدُّ الرَّبطُ إحدى الوسائل الاسس في السَّبكِ النحوي، ويتحققُ ذلكَ باستعمالِ بعضَ الكلماتِ والعباراتِ للربطِ بينَ الأجزاءِ المختلفةِ في النَّصِ، ويُطلقُ على مثلِ هذهِ الكلماتِ والعباراتِ: الروابطُ (أدوات ربط)، ومعَ تلكَ الأدواتِ يكونُ الرَّبطُ بينَ جُزْأي النَّص ربطًا معنويًا (محمد، ٢٠٠٧: ١١٠)، وتختلفُ طبيعةُ الرَّبط بالأداةِ عن علاقاتِ الرَّبط الأخرى مثل (الإحالة والحذف)، فهي ليست علاقةٌ إحاليةٌ (فرج،٢٠٠٧م: ٩٤)، وإنَّما تُعَبرُ عن معانٍ معينةٍ تفترضُ وجودَ مكوناتٍ أخرى، ومع أدوات الربط ننتقل داخل أنواع مختلفة من العلاقات الدلالية (محمد، ٢٠٠٧: ١١٠)، فالروابطُ تؤدي دورًا وظيفيًا بوصفها وحداتٍ وظيفيَّةً لها دورٌ في تكوينِ النَّصِ كوحدةٍ دلاليةٍ، فضلًا عن كونها روابط بينَ الجملِ (فرج،٢٠٠٧م: ٨٢)، وللروابطِ أهميةٌ في إبرازِ العلاقاتِ النَّحوية السِّياقية، ومعَ هذا فإنَّ الرَّابطَ يحتلُ المكانَ الأوسطِ بينَ علاقتينِ على طرفي نقيض هما الارتباط والانفصال، وهو بهذا يؤدي وظيفتَهُ التَّركيبية المهمة في بناءِ الجملةِ والنَّصِ (حميدة ٢٠١١م: ١٠٨)، وأدواتهُ على أنواعٍ حسبَ العلاقةُ القائمةُ بينَ الجملِ، وبها تتماسكُ الجملُ، وتُبينُ مفاصلُ النَّظامَ الذي يقومُ عليهِ النَّصُ (الزناد ١٩٩٣م: ٣٧).

وقد حددَ هاليداي ورقيّة حسن؛ أربعةَ معانٍ تُحققها هذهِ الأدواتِ (بن عروس، ٢٠٠٨م: ١٨٨):

١. الرَّبطُ الإضافي.
٢. الرَّبطُ الزَّمني.
٣. الرَّبطُ السَّببي.
٤. الرَّبطُ الشَّرطي.

١. **الرَّبطُ الإضافي**: هو الرَّبطُ الذي يقومُ على الجمعِ بينَ الجملِ اللاحقةِ من خلال إضفاء معنىً جديدٍ للجملِ السَّابقةِ (الزناد ١٩٩٣م: ٣٧)، وفي ضوءِ أدواتٍ منها (الواو، الفاء، أو)، ويسهمُ الرَّبطُ الإضافي في ربطِ أجزاءِ النَّصِ في خطبةِ السَّيدةِ الزَّهراءِعليها السلام، وَمِنْ ذلكَ قولها: «أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ؟ فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَاُضيعَ الْحَرِيمُ، وَاُزيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ

وَالله النّازلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى»(الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٣)، فقد تَمَّ الربطُ في ضوءِ الأداة) الواو (في البنيةِ السَّطحية، وهو رابطٌ بينَ المحمولاتِ حافظٌ للرتبةِ (بحيري٢٠٠٤م: ٢٢٥)، فضلًا عن الرَّبطِ الدَّلالي بجعلِهِ النصَّ متماسكًا، فالأداةُ (الواو) قامتْ بالرَّبطِ بينَ الجملِ في هذا المقطعِ مِنْ الخطبةِ الشَّريفةِ، فضلًا عن قيامها بترتيبِ الجملِ على النحو الذي يضمنُ تقويةَ النَّتيجةِ المطروحةِ ودعمها، وهي ماتُ مُحَمَّدٌﷺ، (فَخَطْبٌ جَليلٌ) عملَ على حصولِ التَّرادفية في النَّتيجةِ الواحدةِ، وقد أضفتْ هذهِ الأداةُ تدرجًا في ترتيبِ الجملِ وعرضها بصورةٍ مُرتَّبةٍ ومتدرجةٍ؛ لتعطي نتيجةً واحدةً، وهي موتُ الحبيبُ المصطفى مُحَمَّدﷺ، وهذا يؤدي إلى أمرٍ عظيمٍ شديدٍ؛لأنَّ موتَ العظماءِ عظيمٌ، وفي ضوءِ هذا الرَّبطِ تكونُ الوحدةَ دلالية متوازنة، ومجموع العناصر التي يُعطَفُ بعضُها على بعضِها الآخَر تأخذُ دورَ العنصرِ الواحدِ مِنْ ناحيةِ البنيةِ، وبهذا يمكنُ أَنْ تتمَّ عمليّة الاعمام دونَ أن يتغيرَ مِنْ البنيةِ شيءٌ (بن عروس، ٢٠٠٨م: ١٨٧).

وتقولُ عليها السلام فين موضع آخرٍ مِنْ خطبتها: «كِتابُ الله النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ،... وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ المَكْتُوبَةُ، فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الـرِّزْق،...» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ٩٩)، فقد ربطتْ الأداةُ (الفاء) الجملةَ (جَعَلَ اللهُ...) بالجملةِ التي قبلها مِنْ دونِ مهلةٍ أو تراخٍ، لأنَّها تفيدُ دلالةَ التَّرتيبِ والتَّعقيبِ دونَ إهمالٍ أو تراخٍ(بن أم القاسم ١٩٩٢م:٦١)،إذ أفادتْ التعقيبَ مباشرةً خلافًا لما تفيدهُ أداة الرَّبطِ (ثُمَّ) التي تفيدُ الترتيبَ معَ التَّراخي في الزَّمنِ (المصري، د.ت:٣/ ١٠٦)، وهي تختلفُ عن(ثمَّ)، فالمهلةُ هنا أطول وفيها تراخٍ، فَرُبِطَ ما قبلها عِلةً وسببًا لِمَا بعدها.

وتقولُ عليها السلام في موضع آخرٍ مِنْ خطبتها: «فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍﷺ بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، ﴿**كُلَّما أَوْقَدُوا نارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ**﴾ (سورة المائدة:٦٤)، أَوْنَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٠)، ففيهِ وردتْ الأداةُ (أو) وهي أحدى الأدوات التي تفيدُ التَّشريكُ في اللفظِ والمعنى مقيد «ويربطُ التَّخييرُ صورتينِ أو أكثر مِنْ المعلوماتِ على سبيلِ الاختيار، إذ تكونان متحدتينِ مِنْ حيث البيئة، أو متشابهتينِ إذا كانت المحتويات جميعًا عن مطلقِ الجمعِ صادقة في عالمِ النَّصِ، فإنَّ الصّدقَ لا يتناولُ إلَّا محتوى واحدًا في حالةِ التَّخييرِ» (حسان ١٩٩٨م: ٣٤٦)، فضلًا عن أنَّها تفيدُ التَّشريكُ بالحكمِ واللفظِ ولهُ مجموعةُ معانٍ منها: التَّخييرُ، والإباحةُ، والفرقُ بينَ التَّخيِّيرِ والإباحةِ، بيدَ أنَّ الإباحةَ لا تمنعُ الجمع، والتَّخيِّيرُ يمنعهُ، ويفيدُ التَّقسيمُ، والإبهام، والشَّك، وغيرها (المصري، د.ت:٣/ ١٠٥)، فالسَّيدة الزَّهراء عليها السلام في هذا المقطع تريدُ بيانَ أمرٍ انفردَ بهِ الإمامُ علي عليه السلام، وهو تصدِّيهِ لأعداءِ الإسلامِ، أي إنَّ الرَّسولَﷺ

كانَ يأمرُ عليًا عليه السلام أن يردَّ عنه كتائب المشركينَ، وعصابات المنافقينَ فكانَ عليٌ عليه السلام يخاطرُ بحياتهِ، ويغامرُ بنفسهِ، إذ كانَ يُقاتلُ الذئابَ المفترسةَ وحدهُ، ويغامرُ في الحربِ، ويمكنُ القول (قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتِها): في فمِ الموتِ بينَ أنياب السِّباع تحت سيوف الأعداء، والرِّماح الشَّارعة والسِّهام الجارحة، فلا يرجعُ عليه السلام من ساحاتِ القتالِ حتى يسحقُ رؤوس الأعداءِ، ويدوسُ هاماتِ الرؤوس بباطنِ قدمهِ، وهكذا كلَّ مَنْ يُريدُ بالإسلامِ سوءًا يجدُ سيفَ علي بن أبي طالب عليه السلام بالمرصادِ، ليجذه ويقطعهُ مِنْ أصلهِ، فدَّلتْ (أو) على تعدد الصور التي يظهر فيها أعداد الإسلام، فهي مُخيَّرة بأي مظهر تظهرُ، ولأيِّ قناع تلبسُ، إلَّا أنَّها معَ ذلكَ يصيبها الخزي والذُّل بسيفِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام، وفي ضوءِ هذا الرَّبط بأداة الرَّبطِ (أو) ظهر لنا الدور الريادي الذي يحملهُ الإمام عليه السلام في جميعِ غزواتِ التي قامَ بها المسلمينَ.

٢. **الرَّبطُ الزَّمني**: وهو الرَّبطُ بينَ أجزاءِ النَّصوص المتعددة بعلاقةٍ بينَ جملتينِ متتابعتينِ زمنيًا، أبسطَ تعبيرٌ يمثلها في اللغةِ الانكليزيةِ (Then) وفي اللغةِ العربيةِ تمثلها أدوات منها: (ثُمَّ، بعد)، وَمِنْ أمثلةِ الرَّبطِ الزَّمني في الخطبةِ الفدكيةِ: «اِبْتَدَعَ الأَشْيَاءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ... وَتَعَبُّدًا لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازًا لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ٩٨) إنَّ الجملَ التي ساقتها السَّيدة الزَّهراء عليها السلام في هذا المقطعِ متتاليةٌ ومُرتَّبةٌ تتسقُ وتنسجمُ معَ ما ينبغي أن يكونَ عليهِ العبدُ في اللقاءِ الأخروي، وحقيقةُ (ثمَّ) هنا دالَّة على التراخي والمهلة للربط بين المعطوف والمعطوف عليه،إذ إنَّها تفيدُ الترتيبَ معَ التراخي في الزَّمنِ ((المصري، د.ت:٣/ ١٠٦))، وهذهِ المهلةُ مرتبطةٌ بالزَّمنِ الحقيقي الفعلي مقترنًا بزمنٍ نفسي مفعم بالأحاسيسِ التي تُركزُ على الوعدِ والبشارةِ بالجنّةِ والجزاءِ الأخروي.

وفي ضوءِ ما تقدم تبيَّنَ أنَّ الرَّبطَ بـ(ثُمَّ) يتخللهُ مهلةٌ فيكونُ ما بعدها متأخرًا عما قبلها بمدة زمنيةٍ، وبذلكَ فقد حققتْ تلكَ الأداةُ الرَّبطَ السَّطحي والرَّبط الدَّلالي بوصفها المراحل التي يُكوّنُ اللهُ الأشياءَ فيها بقدرتهِ، والتي يضعُ العقابَ والحسابَ، ويبتدعُ الأشياءَ مِنْ العدمِ لا مِنْ شيءٍ كانَ قبلها بقدرتهِ، وبهذا أسهمتْ تلكَ الأداةُ (ثُمَّ) في نسجِ الخيوطِ التي يتوصلُ بها الفكرُ إلى تنظيمِ العناصرِ المكوِّنةِ لهذه الخطبةِ مع إعطاءِ معانٍ لإدراكِ الغرض منهُ.

وتقولُ عليها السلام في موضع آخرٍ مِنْ خطبتها: «فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللَّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ٩٨) (بعد (ظرفُ زمانٍ؛ فالأداةُ ربطتْ الجملَ المتفاوتة زمنيًا، وكذا تربط (بعد) بذاتِ الرَّسول صلى الله عليه وآله؛ لأنَّهُ المنقذُ الأعظمُ، والمصلحُ الأكبرُ الذي أنقذَ العبادَ مِنْ تلكَ الحياة التي كانت تشبه الجحيم، وأصلحَ البلادَ مِنْ تلكَ المفاسدِ والويلاتِ والمصائبِ، فضلًا عن إنَّهُ صلى الله عليه وآله أحدثَ انقلابًا في العقائدِ والنُّفوسِ والأخلاقِ والعاداتِ، ولم تتحق أهدافهُ إلَّا بعدَ شق الأنفس، بعدَ أن تحمَّلَ المشاكلَ وأنواع الأذى، بعدَ الكبت

والضَّغط والإضطهاد، وهنا جاءَ التعبيرُ دقيقًا مِنْ السَّيدةِ فاطمة عليها السلام، فجعلتْ الجملَ المتواليةً مترابطةً ومتماسكةً.

٣. **الرَّبطُ السَّببي**: وهي العلاقةُ التي تتمُّ بأدواتٍ تربطُ بينَ عنصرينِ يعتمدُ أحدهما على وجودِ الآخرِ. وتمثلُ تلكَ الأدواتُ أنواع عديدة، كالسَّببِ والنَّتيجةِ (فرج،٢٠٠٧م: ٩٥)، وَمِنْ تلكَ الأدوات: (حتى و بل و أم). تقولُ السَّيدةُ الزَّهراء عليها السلام في خطبتها: «حَتَّى دَارَتْ بِنا رَحَى الإِسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيَّامِ، وَخَضَعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نيرانُ الْكُفْرِ، وهَدَأتْ دَعْوَةُ الْهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّينِ؛ فَأَنَّى حُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيمانِ» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٣)، فالسَّيدة الزَّهراء عليها السلام هنا تخاطب الأنصار، وهي تُوازِنُ بينَ نسقينِ لهما يُمثلانِ واقعينِ متغايرينِ، الأولُ: يُمثلُ بداية الدَّعوة الإسلامية والسعي لتثبيت أركان الدين، وكانوا فيها مطيعينَ للرسولِ صلى الله عليه وآله وسلم، والثَّاني: بعد الإستقرار الدِّيني، فالسَّيدةُ الزَّهراء عليها السلام تُورِدُ مجموعةً مِنْ الجملِ قبلَ أداة الرَّبط (حتى)؛ لكي تُعطي نتيجةً متوقَّعةً وهي تثبيتُ عُرى الدِّين التي اتضحت في مجموعةٍ مِنْ الجملِ بعدَ أداة الرَّبط (حتى)، وما قبل أداة الرَّبط وبعده يخدمان نتيجةً واحدةً، وهي نكوصُ الأنصارِ وخذلانهم للسيدةِ الزَّهراء عليها السلام. وفي ضوءِ ما تقدم نجدُ حضور الأداة (حتّى) الدَّالة على التعليلِ، وعطفها اللاحق مِنْ الجملِ على السَّابقِ كانَ لهُ دورٌ في تماسكِ النَّصِ.

وتقولُ عليها السلام في نصٍ آخرٍ مِنْ خطبتها: «سُبْحانَ الله! ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ كِتابِ الله صادِفًا، وَلَا لِأَحْكامِهِ مُخالِفًا، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إِلى الْغَدْرِ اعْتِلالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٦)، ففي هذا المقطعِ وَرَدَ موضع لعنصرِ الرَّبطِ (بل) الذي يدلُّ على الإضرابِ وتشريك المعطوف مع المعطوفِ عليهِ لفظًا لا معنىً (الانصاري ٢٠٠٨م: ٢/ ١٨٤)، وهذا المعنى يتناسبُ مع ما تريدهُ السَّيدة الزَّهراء عليها السلام إذ هي في معرضِ ردّ القوم الذينَ ادعوا أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يورثُ ابنتهُ فاطمة عليها السلام، وما تركهُ صدقةً فكأنَّها تقولُ: أمَّا استفهامًا واما استعظامًا مِنْ الكلماتِ التي سبقت هذا المقطع التي تكلمُ بها الحاكمَ، فتقولُ عليها السلام: أبي لم يكن مُعرِضًا أو مجافيًا لكتابِ الله وشرائعهِ وأحكامهِ، وحاشاهُ، كي يأتيَ بما يخالفُ صريحَ نص القرآن فـ(نحن معاشر الأنبياء لا نُوَّرث)، هذا يخالفُ كتابَ الله وينافيه في مواضع عديدة مِنْ آياتهِ كقولهِ تعالى:﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ**﴾ (سورة النمل:١٦)، وأيضًا كقولهِ تعالى:﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ (سورة مريم:٦)، وغيرها من آياتِ الميراثِ للأنبياءِ التي تدلُّ على أنهم يُورَّثونَ ويَرِثونَ، أو الآياتِ التي تُعم توريث الأب للابنِ، فعندها كيفَ يخالفُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم آيات الله وأحكامه؟ أليس هو الذي بُعثُ هاديًا وبشيرًا وسراجًا منيرًا ؟ فأبي صلى الله عليه وآله وسلم كانَ يسير على النَّهجِ الذي رسمهُ الله لهُ، بل هو أحرصُ الكائنات والمخلوقات على تطبيق آيات القرآن، واقتفاء أثرها قولًا وفعلًا، فأداةُ الرَّبطِ (بل) أكدَّت على إبطالِ دلالة الجملة المعطوف عليها بما تفيده أداة الوصل من معنى

الإضرابِ عن المدلولِ السَّابق وإثبات اللاحق.

وتقولُ عليها السلام في نصٍ آخرٍ مِنْ خطبتها: «أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ، أَوَ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٦)، في هذا المقطعِ وَرَدَ موضعانِ لعنصرِ الوصلِ (أم) عملتْ على تشريكِ المعطوف (هَلْ تَقُولونَ...) مع المعطوفِ عليهِ (أَفَخَصَّكُمُ اللهُ...) في الحكمِ، وذلكَ أنَّ الزَّهراءَ عليها السلام تستدلُ على بطلانِ قول القومِ وإدعائهم بعدمِ إرثها مِنْ أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وكأنَّها تقولُ لهم:إنَّ ادعائكم هذا لا يخلو مِنْ أمرينِ حتى يكون هذا الادِّعاء تامًا: أمَّا أن تكونُ هناكَ آيات للإرث عامة وشاملة لجميعِ المسلمينَ، وهذهِ الآيات استثنت أبي مِنْ الإرثِ، فلا وراثة بين النَّبي وأهله، وإما أن تقولوا إنَّ الرَّسولَ محمدًا صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة عليها السلام لا يتوارثان؛ لأنَّهما من مِلَّتينِ مختلفتينِ، فالمسلمُ لا يُورثُ ابنه الكافر، وكلا الأمرينِ لا وجود لهُ فكيف تمنعاني مِنْ أن أرثَ أبي محمدًا صلى الله عليه وآله؟ فأداة الرَّبط (أم) وصلت حكم المعطوف مع المعطوف عليه، وبذلكَ أكَّدت عليها السلام بطلان قول القوم وافتراءهم على رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأمَّا الموضع الثَّاني مِنْ أداةِ الرَّبطِ (أم) فهو لا يختلفُ كثيرًا عن الوضع الأول فلذا لا أُكرر الكلام واعتمد على الموضع الأول.

٤. **الرَّبطُ الشَّرطي**: وهو الرَّبطُ الذي يُعبِّرُ عنهُ بالأدواتِ التي تُسهمُ في الرَّبطِ بينَ جملتينِ متعاقبتينِ، ومِنْ الأدواتِ التي تمثلهُ (إذا، إنْ، لمّا) ويُعَدُّ أحدَ أنواع الرَّبطِ المستعملة في النَّصِ لبناءِ خطبة السَّيدة الزَّهراء عليها السلام ومنه قولها: «لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلًا، وَغِبَّهُ وَبيلًا إِذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٦)، فالرَّبطُ جاءَ بـ(إذا)، فلولا وجود هذه الأداة (إذا) قد يكونُ الكلامَ ناقصًا عندما يبتدأ بالفعلِ مباشرةً المتمثل بـ(كُشِفَ)، فأسهمتْ تلكَ الأداةُ في ترابطِ أجزاء النَّصِ.

ومثَّلَتْ أدواتُ الشَّرطِ رابطًا اساساً وشكَّلَ تكرارَ الرَّوابطِ عناقيد للرَّبطِ، ومِنْ الجديرِ بالذِّكرِ أَنَّهُ مع الرَّبطِ الشَّرطي يتسعُ مدى الرَّبط بينَ الجملِ، فلا يقتصرُ الرَّبطُ على الجملِ المتعاقبةِ، بل يتعداهُ إلى الجملِ غير المتعاقبة (الفقي، ٢٠٠٠م: ١/ ١٦٦ - ١٦٧).

وَمِنْ نماذجِ الرَّبطِ الشَّرطي أيضًا مَا جاءَ في خطبةِ السَّيدة الزَّهراء عليها السلام: «فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَريبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ» (الطبرسي: ٢٠٠٨م: ١/ ١٠٦)، جملتا الشَّرط (لَمّا يَنْدَمِلْ)، و (لَمّا يُقْبَرْ)، قد أحدثتْ أداةُ الشَّرطِ (لَمَّا) في كلتا الجملتينِ ربطًا بجملةِ الجوابِ لوضوحِ المعنى، فضلًا عن بدايةِ النَّصِ في الزَّمنِ الماضي، وذلكَ بدخول (لَمَّا) على الفعلِ المضارعِ، فالمضارعُ بدلالتهِ الزَّمنية على الحالِ والاستقبالِ قد يَتحوَّلُ إلى الماضي غير المنقطع بدخولِ (لَمَّا) عليهِ، وفي ضوء هذا نستطيعُ القولَ إنَّ الرَّسولَ صلى الله عليه وآله لم يُقبَر والجُرح لم يندمل، والذين ائتمرو على الرَّسولِ صلى الله عليه وآله في سقيفةِ بني ساعدة بادروا للاجتماعِ لإبرامِ الأمر الذي يريدونهُ، والرَّسولُ صلى الله عليه وآله

لا يزالُ جثمانهُ الشَّريف مُسجَّى بعد لم يُدفَن، فيبقى بسببِ فعلهم الشَّنيع الجرحُ واسعًا، ولم يندمل بسبب ما فعلوه وماعملوه بالسَّيدةِ الزَّهراءِ عليها السلام، وفي ضوء ما تَقدَّم يَفهمُ المتلقي أنَّ وقوع الحدث لا يزالُ احتمال حدوثهُ قائمًا، وبذلكَ يحققُ التَّماسك النَّصي مِنْ الجانبِ السَّطحي وكذلكَ الرَّبط الدِّلالي.

الخَاتِمَةُ وَنَتَائِجُ الْبَحْث

الحمدُ الله، والثناءُ عليهِ، فإنَّهُ يُخْلَصُ مِنْ هذا البحثِ، بعضُ النَّتائجِ، التي يجدرُ بالباحثِ أن يوليها الالتفات، والانتباه، وهي كالآتي:

١. توصلتْ الدِّراسةُ إلى أنَّ التُّراثَ العربي قد تناولَ ظاهرة السَّبك في مجالاتهِ النَّحوية والمعجمية والصَّوتية في كثير مِنْ المواضعِ في كتبهِ.
٢. يتكاملُ الجانبُ الدِّلالي معَ الجانبِ الشِّكلي في تحديدِ المعنى المُراد مِنْ النَّصِ.
٣. يقومُ الحذفُ بإيقادِ ذهن القارئ، لمعرفةِ المحذوف وملء تلكَ الثَّغرة التي خلَّفها الحذف، وهي تشبهُ في ذلكَ الإحالةُ المقامية؛ لذا يعدُّ كل مِنْ الحذفِ والإحالةِ المقامية مِنْ أقربِ وسائل الاتساق الشِّكلي إلى الانسجامِ؛ ولأنَّهما يصبانِ في قالبهِ.
٤. يعتمدُ السَّبكُ النَّحوي على الأدواتِ الشِّكلية، في حين يعتمدُ السَّبكُ المعجمي على المفردةِ، وكلاهما لا يستغني عن الدِّلالة في توضيحِ المعني.
٥. بيَّنَ البحث قدرة السَّيدة الزَّهراء عليها السلام على الإبداعِ الذي تحقق في السَّبكِ النَّحْوِي للخطبةِ الشَّريفةِ، فجاءت مقاطع الخطبة متماسكة ومتلاحمة بواسطة ركونها إلى أدوات تركيبيَّة استطاعت عليها السلام في ضوئها أن تجعلَ النَّصَّ مرتبطًا في جُمَلِهِ ومقاطعهِ.
٦. اختارت السيدة الزهراء عليها السلام اللفظ المُعبر الموحي ببلاغة عاليَّة صادرة عن وعي وفكر قل نظيرهما ومثيلهما إلَّا عند النَّبي الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأمير البلاغة والفصاحة والبيان الإمام علي عليه السلام، فارتقتْ بأساليبها وفصاحتها إلى درجة البلغاء؛ إذ جعلت الألفاظ ناطقة معبرة على الرَّغم مِنْ الموقف الذي ينأى فيهِ العقل عن التَّعقل والتَّدبر، فجاءت بجملٍ وعباراتٍ قمة بالحكمة والعلم.

وَأَمَلِي كُلُّهُ أن يكونَ هذا الجهدِ مؤهلًا للالتحاقِ في مسيرةِ البحثِ الأكاديميّ، ليُضيءَ إضاءةً يسيرة في ميدانهِ، ويفيدُ باحثًا أو طالبَ علمٍ، واللهُ مِنْ وراءِ القصدِ.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الخلقِ والأنبياءِ والمرسلينَ، حبيبِ إلهِ العالمينَ أبي القاسمِ المصطفى محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى أهلِ بيتهِ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ، وصحبهِ المنتجبينَ المُخْلَصِيْنَ، وَمِنْ تبعهم بإحسانٍ إلى قيامِ يومِ الدِّينِ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا/ المَصَادِرُ:

١. ابن أمّ القاسم، الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق د. فخرالدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فضل، دار الكتب العلمية،

بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٢. ابن منظور، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن مكرَّم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق ياسر سليمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.

٣. الأنصاري، المولى محمد علي بن أحمد القرجة داغي التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠هـ)، اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام، تحقيق السيد هاشم الميلاني، دار التبليغ الإسلامي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

٤. الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، خرّج آياته وعلّق عليه أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث العربي للطباعة وانشر و التوزيع، ط٢، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

٥. التبريزي، القاضي النعمان المغربي – الأنصاري التبريزي، شرح خطبة الزهراء عليها السلام، تحقيق وإعداد السيد باقر الكيشوان الموسوي، مؤسسة البلاغ، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٦. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٧. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الكويت للتقدّم العلمي، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٨. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت: ٥٣٨هـ):

٩. أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر لمطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان،١٩٧٧م.

١١. الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي، أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط١ ١٩٥٤م.

١٢. الطبرسي، ابي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (من علماء القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري) الاحتجاج، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

١٣. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ) كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٤. المجلسي، العلامة الشيخ محمد باقر، الزهراء عليها السلام وخطبة فدك، تعليق الشيخ محمد تقي شريعتمداري، دار كلستان كوثر للنشر، طهران– ايران، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

ثانيا/ المَرْاجِعُ:

١. بحيري، د. سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص، المفاهيم والاتجاهات، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤ م.

٢. حسَّان، تمَّام:
-مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٦.
-اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط٢، ١٩٩٩م.
٣. حميده، د. مصطفى حميده، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ١٩٩٧ م.
٤. الخاقاني، الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني، شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، تقديم محمد كاظم الخاقاني، منشورات أنوار الهدى، ايران ــ قم، ط١، ١٤١٢هـ – ١٣٧١ش.
٥. خطابي، د. محمد خطابي، لسانيات النَّص، مدخل الى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٦ م.
٦. دايك، فان دايك، ترجمة:سعيد بحيري، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، دار القاهرة للكتاب، ط١، ٢٠٠١م.
٧. دي بوكراند، روبرت، النَّص والخطاب والإجراء، ترجمة: د. تمام حسان، ط ١، عالم الكتب، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.
٨. الزناد، الأزهر الزناد، نسيج النَّص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا، ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٣م.
٩. السامرائي، د. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمّان -الأردن، ط٥، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
١٠. شبر، العلامة السيد عبد الله، كشف المحجة في شرح خطبة اللمَّة، تحقيق: الشيخ علي الأسدي، مكتبة فدك لأحياء التراث، إيران – قم، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
١١. شعلان، ليندة قياس، تقديم: د. عبد الوهاب شعلان، لسانيات النّص، النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني انموذجًا، ط ١، مكتبة الآداب، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.
١٢. الشيرازي، الشيخ مكارم الشيرازي، الزهراء عليها السلام خير نساء العالمين، مكتبة الكوثر، بغداد ــ مدينة الصدر، ط١، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.
١٣. عبد الحميد، محمد محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة الهداية، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.
١٤. عبد الكريم، جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، النادي الأدبي، الاردن، ط١، ٢٠٠٩م.
١٥. عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، ت.ط، ت.د.
١٦. عفيفي، أحمد عفيفي:
-ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ط١، ١٩٩٦م.
-نحو النَّص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
١٧. فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النّص رؤية منهجية في بناء النّص النثري، تقديم: أ. د. سليمان العطار و أ. د. محمود فهمي حجازي، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧م.
١٨. الفقي، صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي

بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٩. فضل، صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، عدد ١٦٤، غشت ١٩٩٢م.

٢٠. القزويني، السيد محمد كاظم، فاطمة من المهد إلى اللحد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢١. الكبيسي، طراد، جماليات النثر العربي الفني، دار الشؤون الثقافية، العراق – بغداد، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٢. محمد، عزة شبل، علم لغة النّص، النظرية والتطبيق، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٣. المسدي، د. عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله، للنشر والتوزيع، تونس، د.ط، د.ت.

٢٤. مفتاح، محمد:

-تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء ـ المغرب، ط٣، ١٩٩٢.

-مدخل إلى قراءة النص الشعري، مجلة فصول، المجلد ١٦، العدد ١، ١٩٩٧.

٢٥. ناصح، د.كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٦. الهديبي، الشيخ حبيب الهديبي، إشراقات فكرية من أنوار الخطبة الفدكية، دار البلاغة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٧. الياسري، الدكتور فاخر هاشم الياسري، تجليات التعبير اللغوي في النص القرآني، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

الرَّسائل والأطاريح:

١. بن عروس، مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن، أطروحة (دكتوراه) في لسانيات النص، كلية الآداب واللغات - جامعة الجزائر، ٢٠٠٧م-٢٠٠٨م.

٢. عطشان، رسالة ماجستير، الطالب مطلق رزيج عطشان، خطب سيدات البيت العلوي (عليهن السلام) دراسة في ضوء نحو النّص، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٣ م.

البحوث:

١. حافظ، د. حسين لفته حافظ، خطبة الزهراء عليها السلام الكبرى دراسة بلاغية، مجلة كلية الفقه، جامعة الكوفة، العدد ١٨، ٢٠١٤م.

٢. حافظ، حسين لفتة والدكتور عواد كاظم لفتة، خطبة الزهراء عليها السلام الكبرى دراسة في الأسلوب والفن، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف، العدد (٢٠)، الجزء الأول، السنة ٢٠١٣م.

٣. حامد، أ. د. عبد السلام حامد، علاقة النحو العربي بنحو النص، بحث منشور في موقع رابطة أدباء الشام. www. odabasham. Net

٤. الخفاجي، الدكتور بان صالح مهدي الخفاجي، البنى الصرفية في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، موسوعة الموسم، أكاديمية الكوفة في هولندا،العدد ١٠٩، المجلد٢، السنة (٢٧) - (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).

٥. سلمان، الدكتور طلال خليفة سلمان، الخصائص الأسلوبية في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، موسوعة الموسم، أكاديمية الكوفة في هولندا، العدد ١٠٩، المجلد٢، السنة (٢٧) - (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).

٦. عبد الزهرة، أ.م.د. حيدر و أ.م.د. محمد قاسم لعيبي، البنى التركيبة في خطبة الزهراء عليها السلام، مجلة كلية التربية (ابن رشد)، العدد الثاني، ٢٠١٠م.

٧. محمد – سرحان، د. سجا جاسم محمد ود. أنوار مجيد سرحان، الإمتاع والمؤانسة في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، مركز الدراسات الفاطمة في البصرة، العدد (٦)، ٢٠١٨م.

٨. مهدي، الدكتور جنان محمد مهدي، الإيحاء والتصوير في خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة في البنى الأسلوبية، موسوعة الموسم، أكاديمية الكوفة في هولندا، العدد ١٠٩، المجلد٢، السنة (٢٧) – (١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م).